من الحركة القومية العربية التي حملت مصر لواءها في حينه، ونظراً لدعم الاتحاد السوفياتي لمصر خلال العدوان الثلاثي، فان هذا الموقف قد ساهم في كسر الجليد بين الجماهير العربية والاحزاب الشيوعية، وبالتالي في انعكاس ذلك على الاوضاع عندنا. اضافة الى ذلك، بدأت اسرائيل، بعد العدوان الثلاثي، وتحديداً بعد العام ١٩٥٧، بتغيير سياستها تجاه العرب، خصوصاً وانها شعرت بأن انظار العالم تتجه نحوها، وتراقب الاوضاع الداخلية لهذا الكيان، سياسياً واقتصادياً، واجتماعياً. من هنا، اخذت، وبصورة نسبية، تخفف من ضغوطها على الجماهير العربية، وساهم في ذلك فشلها في القضاء علينا مادياً، مما جعلها تفكر بجدية للقضاء علينا قومياً؛ فشنت حملة شعواء لطرد المدرسين القوميين من اعمالهم، وفرضت علينا برامج دراسية تخدم اهدافها، ووضعت اوامر قمعية جديدة ضد التعليم العربي. واهم موضوعين تناولهما التغيير، هما التاريخ العربي واللغة العربية. فالتاريخ الذي يدرس عندنا هو، فقط، سلسلة من استعراض الحياة الشخصية للقيادات، دون اي ذكر لدور هذه القيادات في التغيير داخل مجتمعاتها. ومثل هذه البرامج تؤدي الى العدمية القومية، وعدم احساس الطالب بالانتماء الى مجتمعه العربي، وعدم الافتخار به. وكذلك الحال بالنسبة الى اللغة العربية.

هذا على صعيد التربية والثقافة؛ اما على صعيد الاقتصاد، فقد كان الهدف الاساسي للسلطة يتركز على ضرب الاسس الاقتصادية للمجتمع العربي، لتحوّل مجتمعنا الى مجتمع طفيلي يعيش على هامش الاقتصاد اليهودي، ومن خلال استخدام المجتمع اليهودي له.

وفي المجال السياسي، منعت السلطات قيام اية قيادة وطنية مستقلة؛ كما منعت اصدار اية صحيفة، او دورية، عربية مستقلة تعبر عن افكار المجتمع العربي. فمن يرغب في التعبير عن رأيه، ليذهب الى الاحزاب الموجودة وينضم اليها.

اما في الفترة التي تلت العام ١٩٥٧، وبعد وصول التعويضات الالمانية للكيان الصهيوني، بدأت بذور نهضة صناعية تظهر داخل المجتمع اليهودي. وبرزت، بالتالي، ضرورة البحث عن ايدي عاملة رخيصة، وهذه يمكن توفيرها من خلال العرب الموجودين في البلاد. لذلك، بدأت السلطات بتخفيف القيود المفروضة على تحرك العرب وتنقلهم.

كل هذه العوامل جعلت من قيام الجبهة الشعبية ضرورة ملحة، على ان تكون الجبهة الاطار الوطني الذي يدافع عن حقوق الانسان العربي، كمواطن في اسرائيل.

ضمن هذا الاطار، بدأت العناصر الوطنية والقومية تتعرف، ببطء، على بعضها البعض. وبدأ الفرز يظهر، بشكل حاد، بين اولئك الذين يؤيدون الشيوعيين والآخرين الذين يؤيدون القوميين. وعلى الرغم من هذا الفرز، فقد كانت هناك حاجة الى التحالف بين القوى الوطنية، فنشأت فكرة الجبهة الشعبية، بهدف تصعيد النضال من اجل حقوق المواطن العربي. وتأسست، بعد ذلك، لجنة تحضيرية مؤلفة من: منصور كردوش، وحبيب قهوجي، ومحمود السروجي، وحنا مسمار، عن العناصر القومية، ومحمد عبدالقادر يونس، ورئيس مجلس محلي كفرياسيف يني يني، ومختار قرية نحف من عائلة عبدالغني، ولا اذكر الآن اسمه الاول، وهؤلاء كانوا من المستقلين؛ الا ان الحزب الشيوعي استطاع ان يؤثر فيهم، فيما بعد. اما العناصر الشيوعية، فقد تكونت من اميل توما، واميل حبيبي، وصليبا خميس، وفؤاد خوري؛ وقد تقدم هؤلاء بطلب الى السلطات لتسجيل تنظيم سياسي باسم «الجبهة العربية»، الا ان السلطات رفضت الطلب بحجة ان الاسم عنصري، ولذلك تغير الاسم الى «الجبهة الشعبية». كانت الجبهة تصدر نشرات باسمها. ولم يكن لها دستور مكتوب. اما برنامجها، فقد كان يستهدف تحقيق المساواة الكاملة بين العرب واليهود. وقد استمرت الجبهة في عملها نحو عام ونصف العام.

ان من اهم انجازات الجبهة الشعبية، في رأيي، تجميع رموز الحركة الوطنية، وتعرفهم على بعضهم البعض، ثم تحريك الشارع العربي على نطاق واسع، وبشكل عملي، ومن ثم استقطاب قاعدة واسعة من الجمهور العربي حولها، واحياء القضية الفلسطينية. ومن النتائج التي يمكن استخلاصها من تجربة الجبهة، نتيجة هامة، وهي ان العمل السياسي مع الجماهير، ومن خلالها، يعتبر اهم ضمان لاستمرار وجدوى، اي عمل سياسي. فالفترة التي ظهرت فيها الجبهة، كانت فترة نهوض وطني